

من روائع (الظلال)

أخي القارئ: أحب أن أحتم هذا الكتاب ببعض الآيات القرآنية وبيائها من تفسير (في ظلال القرآن) للأستاذ/سيد قطب، وأنا أعتذر إليك، لأني أكتب بعض الآيات في عجلة سريعة، لأني وأنا أكتب الكتاب، وبعد ساعة سأسلمه للطباعة، وكنت أودّ أن أكتب الكثير من الآيات التي أبداع فيها (الأستاذ/سيد قطب) - عذراً على كلمتي السابقة، فكل كتابات (الأستاذ/سيد قطب عليه رحمة الله ورضوانه) قد أبداع فيها، وكان موفقاً فيها إلا أشياء نادرة جداً لم يوفق فيها لأن الكمال المطلق لله وأريد منك أن تقرأ الآيات في التفاسير الأخرى ثم تقرأها في الظلال لتعرف الفرق.

وكتابي القادم الذي سأبدأ فيه عما قريب هو:

(تناسب آيات الرحمن من ظلال القرآن) وهو مهم جداً لحفاظ القرآن.

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب - عليه رحمة الله ورضوانه -:

(....) إن هذا القرآن ينبغي أن يقرأ وأن يتلقى من أجيال الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يتدبر على أنه توجيهات حية، تتوزل اليوم، لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق إلى المستقبل، لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل، أو على أنه سجل لحقيقة مضت ولن تعود، ولن نتفع بهذا القرآن حتى نقرأه لنلتمس عنده توجيهات حياتنا الواقعة في يومنا وفي غدنا، كما كانت الجماعة المسلمة الأولى تتلقاه لتلتمس عنده التوجيه الحاضر في شؤون حياتها الواقعة، وحين نقرأ القرآن بهذا الوعي سنجد عنده ما نريد، وسنجد فيه عجائب لا تحظر على البال الساهي، سنجد كلماته وعباراته وتوجيهاته حية تنبض وتتحرك وتشير إلى معالم الطريق، وتقول لنا: هذا فافعلوه وهذا لا تفعلوه، وتقول لنا: هذا عدو لكم وهذا صديق، وتقول لنا: كذا فاتخذوا من الحيلة، وكذا فاتخذوا من العدة، وتقول لنا حديثاً طويلاً مفصلاً دقيقاً في كل ما يعرض لنا من الشؤون، وسنجد عندئذ في القرآن متاعاً وحياء، وسندرك معنى قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ فهي دعوة للحياة للحياة الدائمة المتجددة، لا لحياة تاريخية محدودة في صفحة عابرة من صفحات التاريخ

. (انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب - عليه رحمة الله ورضوانه -:

(.....) ثم تجيء قصة يونس - عليه السلام - وهو ذو النون: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ إن في هذه الحلقة من قصة يونس - عليه السلام - لفتات ولمسات نقف أمامها لحظات، إن يونس لم يصير على تكاليف الرسالة، فضاقت صدره بالقوم، وألقى عبء الدعوة، وذهب مغاضباً ضيق الصدر، حرج النفس، فأوقعه الله في الضيق الذي قهون إلى جانبه مضايقات المكذبين، ولو لا أن تاب إلى ربه، واعترف بظلمه لنفسه ودعوته وواجبه، لَمَا فرج الله عنه هذا الضيق، ولكنها القدرة حفظته ونجته من الغم الذي يعانيه، وأصحاب الدعوات لا بد أن يحتملوا تكاليفها، وأن يصبروا على التكذيب بها، والإيذاء من أجلها، وتكذيب الصادق الواثق مرير على النفس حقاً، ولكنه بعض تكاليف الرسالة، فلا بد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويحتملوا، ولا بد أن يثابروا ويثبتوا، ولا بد أن يكرروا الدعوة ويبدئوا فيها ويعيدوا، إنهم لا يجوز لهم أن يأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب مهما واجهوا من إنكار وتكذيب، ومن عتو وجحود، فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب، فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة، وقد تصل المرة الواحدة بعد الألف ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أرواح القلوب، إن طريق الدعوات ليس هيناً لينا، واستجابة النفوس للدعوات ليست قريبة يسيرة، فهناك ركام من الباطل والضلال والتقاليد والعادات، والنظم والأوضاع، يجثم على القلوب؛ ولا بد من إزالة هذا الركام، ولا بد من استحياء القلوب بكل وسيلة، ولا بد من لمس جميع المراكز الحساسة، ومن محاولة العثور على العصب الموصل، وإحدى اللمسات ستصادف مع المثابرة والصبر والرجاء، ولمسة واحدة قد تحول الكائن البشري تحويلاً تاماً في لحظة متى أصابت اللمسة موضعها، وإن الإنسان ليدهش أحياناً وهو يحاول ألف محاولة، ثم إذا لمسة عابرة تصيب موضعها في الجهاز البشري فينتفض كله بأيسر مجهود، وقد أعيا من قبل على كل الجهود، وأقرب ما يحضرنى للتمثيل هذه الحالة جهاز الاستقبال عند البحث عن محطة إرسال، إنك لتحرك المؤشر مرات كثيرة ذهاباً وإياباً، فتخطيء المحطة وأنت تدقق وتصوب، ثم إذا حركة عابرة من يدك، فتتصل الموجة وتنطلق الأصداء والأنغام،

إن القلب البشري هو أقرب ما يكون إلى جهاز الاستقبال ، وأصحاب الدعوات لا بد أن يحاولوا تحريك المؤشر ليتلقى القلب من وراء الأفق، ولمسة واحدة بعد ألف لمسة قد تصله بمصدر الإرسال، إنه من السهل على صاحب الدعوة أن يغضب لأن الناس لا يستجيبون لدعوته ، فيهجر الناس، إنه عمل مريح ، قد يفتأ الغضب، ويهدى الأعصاب، ولكن أين هي الدعوة ؟ وما الذي عاد عليها من هجران المكذبين المعارضين؟ إن الدعوة هي الأصل لا شخص الداعية، فليضق صدره، ولكن ليكظم ويمض، وخير له أن يصبر فلا يضيّق صدره. بما يقولون، إن الداعية أداة في يد القدرة، والله أرعى لدعوته وأحفظ، فليؤد هو واجبه في كل ظرف ، وفي كل جو ، والبقية على الله، والهدى هدى الله وإن في قصة ذي النون درساً لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتأملوه، وإن في رجعة ذي النون إلى ربه واعترافه بظلمه لعة لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتدبروها، وإن في رحمة الله لذي النون واستجابة دعائه المنيب في الظلمات لبشري للمؤمنين:

﴿وَكَذَلِكَ نُفِخِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب- عليه رحمة الله ورضوانه:-

(....ثم عبارة أخرى تلفت النظر في قول الحوارين: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لأي شهادة وأي شاهدين؟ إن المسلم المؤمن بدين الله مطلوب منه أن يؤدي شهادة لهذا الدين، شهادة تؤيد حق هذا الدين في البقاء، وتؤيد الخير الذي يحمله هذا الدين للبشر، وهو لا يؤدي هذه الشهادة حتى يجعل من نفسه ومن خلقه ومن سلوكه ومن حياته صورة حياة لهذا الدين، صورة يراها الناس فيرون فيها مثلاً رفيعاً ، يشهد لهذا الدين بالأحقية في الوجود ، وبالخيرية والأفضلية على سائر ما في الأرض من أنظمة وأوضاع وتشكيلات ، وهو لا يؤدي هذه الشهادة كذلك حتى يجعل من هذا الدين قاعدة حياته ، ونظام مجتمعه ، وشرعية نفسه وقومه ، فيقوم مجتمع من حوله ، تدبر أموره وفق هذا المنهج الإلهي القويم ، وجهاده

لقيام هذا المجتمع ، وتحقيق هذا المنهج، وإيثاره الموت في سبيله على الحياة في ظل مجتمع آخر لا يحقق منهج الله في حياة الجماعة البشرية، هو شهادته بأن هذا الدين خير من الحياة ذاكما وهي أعز ما يحرص عليه الأحياء، ومن ثمَّ يدعى (شهيداً)، فهؤلاء الحواريون يدعون الله أن يكتبهم مع الشاهدين لدينه، أي أن يوقفهم ويعينهم في أن يجعلوا من أنفسهم صورة حية لهذا الدين، وأن يعثهم للجهاد في سبيل تحقيق منهجه في الحياة ، وإقامة مجتمع يتمثل فيه هذا المنهج، ولو أدوا ثم ذلك حياتهم ليكونوا من (الشهداء) على حق هذا الدين، وهو دعاء جدير بأن يتأمله كل من يدعي لنفسه الإسلام فهذا هو الإسلام كما فهمه الحواريون، وكما هو في ضمير المسلمين الحقيقيين، ومن لم يؤد هذه الشهادة لدينه فكتمها فهو آثم قلبه، فأما إذا ادعى الإسلام ثم سار في نفسه غير سيرة الإسلام، أو حاولها في نفسه ، ولكنه لم يؤدها في المجال العام ، ولم يجاهد لإقامة منهج الله في الحياة إثارةً للعافية ، وإثارةً لحياته على حياة الدين ، فقد قصر في شهادته، أو أدى شهادة ضد هذا الدين، شهادة تصد الآخرين عنه، وهم يرون أهله يشهدون عليه لا له، وويل لمن يصد الناس عن دين الله عن طريق ادعائه أنه مؤمن بهذا الدين ، وما هو من المؤمنين (انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٧﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٨﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب- عليه رحمة الله ورضوانه- عند قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

إنا لله . . . كلنا . . . كل ما فينا . . . كل كيانا وذاتيتنا . . . لله . . . وإليه المرجع والمآب في كل أمر وفي كل مصير . . . التسليم . . . التسليم المطلق . . . تسليم الالتجاء الأخير المنبثق من الالتقاء وجهاً لوجه بالحقيقة الوحيدة ، وبالتصور الصحيح ، هؤلاء هم الصابرون ، الذين يبلغهم الرسول الكريم بالشرى من المنعم الجليل ، هؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل

مكافئهم عنده جزاء الصبر الجميل: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ صلوات من ربهم ، يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيه الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه ، وهو مقام كريم ، ورحمة ، وشهادة من الله بأنهم هم المهتدون ، وكل أمر من هذه هائل عظيم . وبعد . . فلا بد من وقفة أمام هذه الخاتمة في تلك التعبئة للصف الإسلامي ، التعبئة في مواجهة المشقة والجهد ، والاستشهاد والقتل ، والجوع والخوف ، ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، التعبئة في هذه المعركة الطويلة الشاقة العظيمة التكليف ، إن الله يضع هذا كله في كفة ، ويضع في الكفة الأخرى أمراً واحداً ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إنه لا يعدهم هنا نصراً ، ولا يعدهم هنا تمكيناً ، ولا يعدهم هنا مغنم ، ولا يعدهم هنا شيئاً إلا صلوات الله ورحمته وشهادته ، لقد كان الله يعد هذه الجماعة لأمر أكبر من ذواتها وأكبر من حياتها ، فكان من ثم مجردها من كل غاية ، ومن كل هدف ومن كل رغبة من الرغبات البشرية - حتى الرغبة في انتصار العقيدة - كان مجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته ، كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضى الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون ، هذا هو الهدف ، وهذه هي الغاية ، وهذه هي الثمرة الحلوة التي تقفو إليها قلوبهم وحدها ، فأما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم ، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها ، إن لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء ، جزاء على التضحية بالأموال والأنفس والثمرات ، وجزاء على الخوف والجوع والشدة ، وجزاء على القتل والشهادة ، إن الكفة ترجح بهذا العطاء فهو أثقل في الميزان من كل عطاء ، أرجح من النصر وأرجح من التمكين وأرجح من شفاء غيظ الصدور ، هذه هي التربية التي أخذ الله بها الصف المسلم ليعده ذلك الإعداد العجيب ، وهذا هو المنهج الإلهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين .

(انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب - عليه رحمة الله ورضوانه:-

(.....) ومع أن هذا النص القرآني كان يواجه ابتداء حالة واقعة من بني إسرائيل ، فإنه في إجماعه للنفس البشرية ، ولرجال الدين بصفة خاصة ، دائم لا يخضع قوماً دون قوم ، ولا يعني جيلاً دون جيل ، إن آفة رجال الدين - حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة - أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، ويدعون إلى البر ويهملونه ، ويجرفون الكلم عن مواضعه ، ويؤولون النصوص القاطعة خدمة للغرض والهوى ، ويجدون فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص ، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين ، لتبرير أغراض وأهواء لمن يملكون المال أو السلطان، كما كان يفعل أجباز يهود ، والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه ، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك، لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها ، وهي التي تبليب قلوب الناس وأفكارهم ، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ، ويشهدون فعلاً قبيحاً ؛ فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل ، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة ، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشع الإيمان ، ولا يعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين ، إن الكلمة لتنبعث ميتة ، وتصل هامدة ، مهما تكن طنانة رنانة متحمسة ، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها ، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول ، وتجسماً واقعياً لما ينطق ، عندئذ يؤمن الناس ، ويثق الناس ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق ، إنما حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها ، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها ، إنما تستحيل يومئذ دفعة حياة ، لأنها منبثقة من حياة ، والمطابقة بين القول والفعل ، وبين العقيدة والسلوك ، ليست مع هذا أمراً هيناً ، ولا طريقاً معبداً ، إنما في حاجة إلى رياضة وجهد ومحاوله ، وإلى صلة بالله ، واستمداد منه ، واستعانة بهديه ، فملايسات الحياة وضرورتها واضطراباتها كثيراً ما تنأى بالفرد في واقعه عما يعتقد في ضميره ، أو عما يدعو إليه غيره والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته ، لأن قوى الشر والطغيان والإغواء أكبر منه ، وقد يغالبها مرة ومرة ومرة ، ولكن لحظة ضعف تتباه فيتخاذل ويتهاوى ، ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله ، فأما وهو يركن

إلى قوة الأزل والأبد فهو قوي قوي ، أقوى من كل قوي قوي على شهوته وضعفه ، قوي على ضروراته واضطراراته ، قوي على ذوي القوة الذين يواجهونه . (انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا

عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب- عليه رحمة الله ورضوانه:-

(..... إنهم يطلبون من الله الحسنة في الدارين، ولا يحددون نوع الحسنة، بل يدعون اختيارها لله ، والله يختار لهم ما يراه حسنة، وهم باختياره لهم راضون، وهؤلاء لهم نصيب مضمون لا يبطيء عليهم، فالله ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إن هذا التعليم الإلهي يحدد لمن يكون الاتجاه، ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره ، وترك لله الخيرة ، ورضي بما يختاره له الله ، فلن تقوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة، ومن جعل همه الدنيا فقد خسر في الآخرة كل نصيب، والأول رابح حتى بالحساب الظاهر، وهو في ميزان الله أربح وأرجح، وقد تضمن دعاؤه خير الدارين في اعتدال ، وفي استقامة على التصور الهادي المتزن الذي ينشئه الإسلام.(انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ

أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسَافِدَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ

وَلَيْتَسَّ الْمُهَادُّ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب- عليه رحمة الله ورضوانه:-

(.... هذا المخلوق الذي يتحدث ، فيصور لك نفسه خلاصة من الخير ، ومن الإخلاص ، ومن التجرّد ، ومن الحب ، ومن الترفع ، ومن الرغبة في إفاضة الخير والبر والسعادة والطهارة

على الناس هذا الذي يعجبك حديثه ، تعجبك ذلاقة لسانه، وتعجبك نبرة صوته ويعجبك حديثه عن الخير

والبر والصلاح ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قُلُوبِهِ زِيَادَةً فِي التَّائِبِينَ وَالْإِيحَاءِ ، وَتَوْكِيداً لِلتَّجَرُّدِ وَالْإِحْلَاصِ ، وَإِظْهَاراً لِلتَّقْوَىٰ وَخَشْيَةِ اللَّهِ ﴿هُوَ الَّذِي الْخَصَّاصِ﴾ تزدحم نفسه باللدود والخصومة فلا ظل فيها للود والسماحة ، ولا موضع فيها للحب والخير ، ولا مكان فيها للتحمل والإيثار، هذا الذي يتناقض ظاهره وباطنه ، ويتنافر مظهره وبخيره ، هذا الذي يتقن الكذب والتمويه والدهان

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَّادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ حتى إذا جاء دور العمل ظهر المخبوء ، وانكشف المستور ، وفضح بما فيه من حقيقة الشر والبغي والحقد والفساد، وإذا انصرف إلى العمل ، كانت وجهته الشر والفساد ، في قسوة وجفوة ولد ، تتمثل في إهلاك كل حي من الحرث الذي هو موضع الزرع والنبات والأثمار ، ومن النسل الذي هو امتداد الحياة بالإنسال ، وإهلاك الحياة على هذا النحو كناية عما يعتمل في كيان هذا المخلوق النكد من الحقد والشر والغدر والفساد مما كان يستره بذلاقة اللسان ، ونعومة الدهان ، والتظاهر بالخير والبر والسماحة والصلاح ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَّادَ﴾ ولا يحب المفسدين الذين ينشئون في الأرض الفساد، والله لا تخفى عليه حقيقة هذا الصنف من الناس، ولا يجوز عليه الدهان والطلاء الذي قد يجوز على الناس في الحياة الدنيا ، فلا يعجبه من هذا الصنف النكد ما يعجب الناس الذين تمدعهم الظواهر وتخفى عليهم السرائر، وعمضي السياق يوضح معالم الصورة ببعض اللمسات:

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَّادَ

﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبِهِ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْعِمَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ إذا تولى فقصده إلى الإفساد في الأرض، وأهلك الحرث والنسل، ونشر الخراب والدمار، وأخرج ما يعتمل في صدره من الحقد والضغن والشر والفساد، إذا فعل هذا كله ثم قيل له: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ تذكراً له بخشية الله والحياء منه والتحرج من غضبه، أنكر أن يقال له هذا

القول، واستكبر أن يوجه إلى التقوى، وتعاضم أن يؤخذ عليه خطأ، وأن يوجه إلى صواب، وأخذته العزة، لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير، ولكن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فاستعز بالإجرام والذنب والخطيئة، ورفع رأسه في وجه الحق الذي يذكر به، وأمام الله بلا حياء منه، وهو الذي كان يشهد الله على ما في قلبه، ويتظاهر بالخير والبر والإخلاص والتجرد والاستحياء، إنما لمسة تكمل ملامح الصورة، وتزيد في قسامتها وتمييزها بذاتها، وتدع هذا النموذج حياً يتحرك، تقول في غير تردد: هذا هو، هذا هو الذي عناه القرآن، وأنت تراه أمامك ماثلاً في الأرض الآن وفي كل آن، وفي مواجهة هذا الاعتزاز بالإثم، واللدد في الخصومة، والقسوة في الفساد، والفجور في الإفساد، في مواجهة هذا كله يجبهه السياق باللطمة اللائقة بمذه الجلبة النكدة: ﴿فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ حسبه، ففيها الكفاية، جهنم التي وقودها الناس والحجارة، جهنم التي يككب فيها الغاؤون ﴿وَيَحْنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ ، جهنم الحطمة ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفِيدَةِ﴾ ، جهنم التي ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ ، جهنم التي ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ، حسبه جهنم ﴿وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ ويا للسخرية القاصمة في ذكر ﴿الْمِهَادُ﴾ هنا، ويا لبؤس من كان مهاده جهنم بعد الاعتزاز والنفخة والكبرياء، ذلك نموذج من الناس، يقابله نموذج آخر على الطرف الآخر من القياس ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب- عليه رحمة الله ورضوانه:

(... يكمل السياق الشوط ليكشف عما أعد للكافرين بنعمة الله؛ ومتى يلقون مصيرهم المحتوم، وذلك في مشاهد متعاقبة من مشاهد القيامة، تنزل الأقدام والقلوب: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿والرسول ﷺ لا يحسب الله﴾ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴿ولكن ظاهر الأمر يبدو هكذا لبعض من يرون الظالمين يتمتعون، ويسمع بوعيد الله، ثم لا يراه واقعاً بهم في هذه الحياة الدنيا، فهذه الصيغة تكشف عن الأجل المضروب لأخذهم الأخذة الأخيرة، التي

لا إمهال بعدها ، ولا فكاك منها ، أخذهم في اليوم العصيب الذي تشخص فيه الأبصار من الفرع والملع ، فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة ، مأخوذة بالهول لا تطرف ولا تتحرك ، ثم يرسم مشهداً للقوم في زحمة الهول ، مشهدهم مسرعين لا يلوون على شيء ، ولا يلتفتون إلى شيء ، رافعين رؤوسهم لا عن إرادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكاً ، يمتد بصرهم إلى ما يشاهدون من الرعب فلا يطرف ولا يرتد إليهم ، وقلوبهم من الفرع خاوية خالية لا تضم شيئاً يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه ، فهي هواء خواء ، هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه ، حيث يتفون هذا الموقف ، ويعانون هذا الرعب الذي يرتسم من خلال المقاطع الأربعة مذهلاً أخذاً بهم كالطائر الصغير في مغالب الباشق الرعيب: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِبِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ فالسرعة المهرولة المدفوعة في الهيئة الشاحصة المكرهة المشدودة ، مع القلب المفرع الطائر الخاوي من كل وعي ومن كل إدراك كلها تشي بالهول الذي تشخص فيه الأبصار ، هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه ، والذي ينتظرهم بعد الإمهال هناك ، فأنذر الناس أنه إذا جاء فلا اعتذار يومئذ ولا فكاك ، وهنا يرسم مشهداً آخر لليوم الرعيب المنظور: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ أنذرهم يوم يأتيهم ذلك العذاب المرسوم آنفاً ، فيتوجه الذين ظلموا يومئذ إلى الله بالرجاء ، يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ الآن وقد كانوا يكفرون به من قبل ويجعلون له أنداداً! ﴿أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ مَّحَبِّ دَعْوَتِكَ وَتَسْبِيحِ الرَّسُولِ﴾ وهنا ينقلب السياق من الحكاية إلى الخطاب ، كأنهم مائلون شاخصون يطلبون ، وكأننا في الآخرة وقد انطوت الدنيا وما كان فيها ، فيها هو ذا الخطاب يوجه إليهم من المأ الأعلى بالتبكيك والتأنيب ، والتذكير بما فرط منهم في تلك الحياة: ﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾؟! فكيف ترون الآن؟! زلتم يا ترى أم لم تزولوا؟! ولقد قلتم قولتكم هذه وآثار الغابرين شاخصه أمامكم مثلاً بارزاً للظالمين ومصرهم المحتوم: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ فكان عجباً أن تسروا مساكن الظالمين أمامكم ، خالية منهم ، وأنتم فيها خلفاء ، ثم تقسمون مع ذلك: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ﴾! وعند هذا التبكيك ينتهي المشهد ، وندرك أين صاروا ، وماذا كان بعد الدعاء

وخيبة الرجاء، وإن هذا المثل ليتجدد في الحياة ويقع كل حين، فكم من طفلة يسكنون مساكن الطغاة الذين هلكوا من قبلهم، وربما يكونون قد هلكوا على أيديهم ثم هم يطغون بعد ذلك ويتجبرون، ويسرون حذوك النعل بالنعل سيرة المهالكين، فلا تهمز وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسكنونها، والتي تتحدث عن تاريخ المهالكين، وتصور مصائرهم للناظرين، ثم يؤخذون إحنة الغابرين، ويلحقون بهم وتخلو منهم الديار بعد حين، ثم يلتفت السياق بعد أن يسدل عليهم الستار هناك، إلى واقعهم الحاضر، وشدة مكرهم بالرسول والمؤمنين وتدبيرهم الشر في كل نواحي الحياة، فيلقي في الروح أنهم مأخوذون إلى ذلك المصير، مهما يكن مكرهم من العنف والتدبير: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالتَّأْتِيرِ حَتَّى لِيُؤدِّيَ إِلَى زَوَالِ الْجِبَالِ، أَنْتَقَلَ شَيْءٌ وَأَصْلَبَ شَيْءٌ، وَأَبْعَدَ شَيْءٌ عَنِ تَصَوُّرِ التَّحَرُّكِ وَالتَّزْوَالِ، فَإِنَّ مَكْرَهُمْ هَذَا لَيْسَ بِمَجْهُولًا وَلَيْسَ خَافِيًا﴾ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدِيهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ وليس بعيداً عن تناول القدرة، بل إنه حاضر (عند الله) يفعل به كيفما يشاء، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدِيهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ فما لهذا المكر من أثر، وما يعوق تحقيق وعد الله لرسله بالنصر وأخذ الماكرين أخذ عزيز مقتدر: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ لا يدع الظالم يفلت، ولا يدع الماكر ينجو، وكلمة الانتقام هنا تلقي الظل المناسب للظلم والمكر فالظالم الماكر يستحق الانتقام، وهو بالقياس إلى الله تعالى يعني تعذيبهم جزاء ظلمهم وجزاء مكرهم، تحقيقاً لعدل الله في الجزاء وسيكون ذلك لا محالة: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالتَّسْمَوَاتِ﴾ ولا ندري نحن كيف يتم هذا، ولا طبيعة الأرض الجديدة وطبيعة السماوات، ولا مكانها، ولكن النص يلقي ظلال القدرة القادرة التي تبدل الأرض وتبدل السماوات، في مقابل ذلك المكر الذي مهما اشتد فهو ضئيل عاجز حسير وفجأة نرى ذلك قد تحقق: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وأحسوا أنهم مكشوفون لا يستترهم ساتر، ولا يقيهم واق ليسوا في دورهم وليسوا في قبورهم، إنما هم في العراء أمام الواحد القهار ولفظة ﴿الْقَهَّارِ﴾ هنا تشترك في ظل التهديد بالقوة القاهرة التي لا يقف لها كيد الجبابرة: ﴿وَإِنْ كَانَ

مَكْرُهُمْ لِيَرْوَلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿١١﴾ ثم ها نحن أولاء أمام مشهد من مشاهد العذاب العنيف القاسي المذل ، يناسب ذلك المكر وذلك الجبروت: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿١٢﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿١٣﴾ فمشهد المجرمين: اثنين اثنين مقرونين في الوثاق ، يمررون صفواً وراء صف ، مشهد مذل دال كذلك على قدرة القهار ، ويضاف إلى قرعهم في الوثاق أن ﴿سَرَابِلُهُمْ﴾ وثيابهم من مادة شديدة القابلية للالتهاج ، وهي في ذات الوقت قدرة سوداء، ﴿مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ ففيها الذل والتحقير ، وفيها الإحساء بشدة الاشتعال. مجرد قرعهم من النار ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ فهو مشهد العذاب المذل المتلطي المشتعل جزاء المكر والاستكبار، ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ ولقد كسبوا المكر والظلم فجزاؤهم القهر والذل، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فالسرعة في الحساب هنا تناسب المكر والتدبير الذي كانوا يحسبونه يحميهم ويخفيهم ، ويعوق انتصار أحد عليهم، فهي هو أولاء يجزون ما كسبوا ذلاً والمأ وسرعة حساب ، وفي النهاية تختم السورة. يمثل ما بدأت ، ولكن في إعلان عام جهير الصوت عالي الصدى ، لتبليغ البشرية كلها في كل مكان: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ. وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ إن الغاية الأساسية من ذلك البلاغ وهذا الإنذار ، هي أن يعلم الناس ﴿أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ فهذه هي قاعدة دين الله التي يقوم عليها منهجه في الحياة، وليس المقصود بطبيعة الحال مجرد العلم ، إنما المقصود هو إقامة حياتهم على قاعدة هذا العلم المقصود هو الدينونة لله وحده ، ما دام أنه لا إله غيره ، فالإله هو الذي يستحق أن يكون ربا - أي حاكماً وسيداً ومتصرفاً ومشرعاً وموجهاً - وقيام الحياة البشرية على هذه القاعدة يجعلها تختلف اختلافاً جوهرياً عن كل حياة تقوم على قاعدة ربوبية العباد للعباد - أي حاكمية العباد للعباد ودينونة العباد للعباد - وهو اختلاف يتناول الاعتقاد والتصور ، ويتناول الشعائر والمناسك ، كما يتناول الأخلاق والسلوك ، والقيم والموازين ، وكما يتناول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكل جانب من جوانب الحياة الفردية والجماعية على السواء .

(انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤) سَيِّدِهِمْ وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب - عليه رحمة الله ورضوانه -:

(....) وفي ظل هذه الكرامة للذين قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وفي ظل ذلك الرضى ، وتلك الرعاية وبلوغ ذلك المقام ، يحرض الله المؤمنين على التجرد لله ، والاتجاه إلى نصرته نوحه في الحياة ، ويعدهم على هذا النصر والتثبيت في المعركة ، والتعس والضلال لأعدائهم وأعدائه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ وكيف ينصر المؤمنون الله، حتى يقوموا بالشرط وينالوا ما شرط لهم من النصر والتثبيت ؟ إن الله في نفوسهم أن تتجرد له ، وألا تشرك به شيئاً ، شركاً ظاهراً أو خفياً ، وألا تستبقي فيها معه أحداً ولا شيئاً ، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى ، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحرركاتها وسكناتها ، وسرها وعلايتها ، ونشاطها كله وخلجاتها فهذا نصر الله في ذوات النفوس ، وإن لله شريعة ومنهاجاً للحياة ، تقوم على قواعد وموازن وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة ، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه ، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء ، فهذا نصر الله في واقع الحياة ، ونقف لحظة أمام قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ وقوله: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وفي كلتا الحالتين ، حالة القتل ، وحالة النصر يشترط أن يكون هذا الله وفي سبيل الله وهي لفظة بديهية ، ولكن كثيراً من الغبش يغطي عليها عندما تنحرف العقيدة في بعض الأجيال ، وعندما تمتحن كلمات الشهادة والشهداء والجهاد وترخص ، وتنحرف عن معناها الوحيد القويم ، إنه لا جهاد ، ولا شهادة ، ولا جنة إلا حين يكون الجهاد في سبيل الله

وحده ، والموت في سبيله وحده ، والنصرة له وحده ، في ذات النفس وفي منهج الحياة لا جهاد ولا شهادة ولا جنة إلا حين يكون الهدف هو أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن تميم شريعته ومنهجه في ضمائر الناس وأخلاقهم وسلوكهم ، وفي أوضاعهم وتشريعهم ونظامهم على السواء ، وليس هنالك من راية أخرى ، أو هدف آخر يجاهد في سبيله من يجاهد ، ويستشهد دونه من يستشهد ، فيحق له وعد الله بالجنة إلا تلك الـراية وإلا هذا الهدف ، من كل ما يروج في الأجيال المنحرفة التصور من رايات وأسماء وغايات ، ويحسن أن يدرك أصحاب الدعوة هذه اللفتة البديهية ، وأن يخلصوها في نفوسهم من الشوائب التي تعلق بها من منطق البيئة وتصور الأجيال المنحرفة وألا يلبسوا برايتهم راية ، ولا يخلطوا بتصورهم تصوراً غريباً على طبيعة العقيدة ، لا جهاد إلا لتكون كلمة الله هي العليا ، العليا في النفس والضمير ، والعليا في الخلق والسلوك ، والعليا في الأوضاع والنظم ، والعليا في العلاقات والإرتباطات في كل أنحاء الحياة ، وما عدا هذا فليس لله ، ولكن للشيطان ، وفيما عدا هذا ليست هناك شهادة ولا استشهاد ، وفيما عدا هذا ليس هنالك جنة ولا نصر من عند الله ولا تثبيت للأقدام ، وإنما هو الغبش وسوء التصور والانحراف ، وإذا عز على غير أصحاب الدعوة لله أن يتخلصوا من هذا الغبش وسوء التصور والانحراف ، فلا أقل من أن يخلص الدعوة إلى الله أنفسهم ومشاعرهم وتصورهم من منطق البيئة الذي لا يتفق مع البديهية الأولى في شرط الله

﴿ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا اِنْ نَّصَرُوْا لِلّٰهِ يَنْصُرْكُمۡ وَيُثَبِّتۡ اَقْدَامَكُمۡ ۗ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَتَعَسَّ اٰهَمُهُمْ ۗ ۝۷﴾

وَأَضَلَّ اَعْمَالَهُمْ ۗ ۝۸﴾ ذَلِكَ بِاَنَّهُمْ كَرِهُوْا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاَحْطٰ اَعْمَالَهُمْ ﴿ وبعد فهذا شرط الله على الذين آمنوا، فأما شرطه لهم فهو النصر وتثبيت الأقدام، وعد الله لا يخلفه، فإذا تخلف فترة، فهو أجل مقدر لحكمة أخرى تتحقق مع تحقق النصر والتثبيت، ذلك حين يصح أن المؤمنين وفوا بالشرط ثم تخلف عنهم - فترة - نصر الله . ثم نقف لحظة أمام لفظة خاصة في

التعبير: ﴿ اِنْ نَّصَرُوْا لِلّٰهِ يَنْصُرْكُمۡ وَيُثَبِّتۡ اَقْدَامَكُمۡ ﴾ إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر ، ويكون سبباً فيه ، وهذا صحيح ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي بأن المقصود معنى آخر من معاني التثبيت ، معنى التثبيت على النصر وتكاليفه فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان ، وبين الحق والضلال ، فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة ، للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر ، وفي عدم التراخي بعده والتهاون ،

وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء ، ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء ، وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر ولعل هذا هو ما تشير إليه عبارة القرآن والعلم لله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَلَهُمْ ﴾ وذلك عكس النصر وتثبيت الأقدام ، فالدعاء بالتعس قضاء من الله سبحانه بالتعاسة والخيبة والخذلان وإضلال الأعمال ضياع بعد ذلك وفناء ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ وهو تصوير لما يعتمل في قلوبهم ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة ومنهج واتجاه، وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة والملاحاة، وهي حالة كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم وتصادمه من داخلها ، بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته، وهي نفوس يلتقي بها الإنسان كثيراً في كل زمان وفي كل مكان ، ويحس منها النفرة والكراهية لهذا الدين وما يتصل به، حتى إنها لتفزع من مجرد ذكره كما لو كانت قد لدعتها العقارب، وتجنب أن يجيء ذكره أو الإشارة إليه فيما تسمع حولها من حديث، ولعلنا نشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على الملاحظة، وكان جزاء هذه الكراهية لما أنزل الله ، أن أحبط الله أعمالهم، وإحباط الأعمال تعبير تصويري على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير، فالحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعاً من المرعى سام، ينتهي بها إلى الموت والهلاك، وكذلك انتفخت أعمالهم وورمت وانبعثت، ثم انتهت إلى الهلاك والضياع، إنما صورة وحركة ، ونهاية مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام، المنتفخة كبطون الأنعام ، حين ترعى من ذلك النبات السام.

(انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسَّرَ ١ ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ ٢ ﴾ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ٣ ﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدْبِحُ بِأَسْأَتِهِمْ وَيَسْتَخِي، نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ ٤ ﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ

عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبَّرَى فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب- عليه رحمة الله ورضوانه-:

(....) ولكن الله يريد غير ما يريد فرعون، ويقدر غير ما يقدر الطاغية، والظغاة البغاة تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم، فينسبون إرادة الله وتقديره، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون، ويختارون لأعدائهم ما يشاءون، ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون، والله يعلن هنا إرادته هو، ويكشف عن تقديره هو، ويتحدى فرعون وهامان وجنودهما، بأن احتياطهم وحذرهم لن يجديهم فتيلاً: ﴿٦﴾ وَرُبِّدْ أَنْ نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبَّرَى فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ فبهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف

الطاغية في شأنهم كما يريد له هواه البشع النكير، ﴿٥﴾ يَدْبِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ^٢ ويسومهم سوء العذاب والنكال، وهو مع ذلك يحذرهم ويخافهم على نفسه وملكه، فيبث عليهم العيون والأرصاد، ويتعقب نسلهم من الذكور فيسلمهم إلى الشفار كالجزار، هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بجهاته من غير تحديد، وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيداً ولا تابعين، وأن يورثهم الأرض المباركة (التي أعطاها إياها عندما استحقوها بعد ذلك بالإيمان والصلاح) وأن يمكن لهم فيها فيجعلهم أقوياء راسخي الأقدام مطمئنين، وأن يحقق ما يحذر فرعون وهامان وجنودهما، وما يتخذون الحيلة دونه وهم لا يشعرون! هكذا يعلن السياق قبل أن يأخذ في عرض القصة ذاتها، يعلن واقع الحال وما هو مقدر في المال، ليقف القوتين وجهاً لوجه: قوة فرعون المنتفشة المنتفحة التي تبدو للناس قادرة على الكثير، وقوة الله الحقيقية الهائلة التي تتهاوى دونها القوى الظاهرية الهزيلة التي ترهب الناس، ويرسم بهذا الإعلان مسرح القصة قبل أن يبدأ في عرضها، والقلوب معلقة بأحداثها وبجرياتها، وما تنتهي إليه، وكيف تصل إلى تلك النهاية التي أعلنها قبل البدء في عرضها، ومن ثم تنبض القصة بالحياة، وكأنها تعرض لأول مرة، على أنها رواية معروضة الفصول، لا حكاية غيرت في التاريخ، هذه ميزة طريقة الأداء القرآنية بوجه عام. (انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾
قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب - عليه رحمة الله ورضوانه:-

(.....) هكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولى ، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها ، وإلى سنته - سبحانه - في تربية عباده المختارين ، الذين يكل إليهم رايته ، وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته ، وهو خطاب مطرد لكل من يختار لهذا الدور العظيم ، وإنما لتجربة عميقة جليلة مرهوبة ، إن هذا السؤال من الرسول ﷺ والذين آمنوا معه من الرسول ﷺ الموصول بالله ، والمؤمنين الذين آمنوا بالله ، إن سؤا لهم: ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ؟ ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة ، ولن تكون إلا محنة فوق الوصف ، تلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب ، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب: ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ؟ وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة ، عندئذ تتم كلمة الله ، ويجيء النصر من الله ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ إنه مدخر لمن يستحقونه ، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية ، الذين يثبتون على البأساء والضراء ، الذين يصمدون للزلزلة ، الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة ، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله ، وعندما يشاء الله ، وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها ، فهم يتطلعون فحسب إلى (نصر الله) ، لا إلى أي حل آخر ، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله ، ولا نصر إلا من عند الله ، بهذا يدخل المؤمنون الجنة ، مستحقين لها ، جديرين بها ، بعد الجهاد والامتحان ، والصبر والثبات ، والتجرد لله وحده ، والشعور به وحده ، وإغفال كل ما سواه وكل من سواه ، إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة ، ويرفعها على ذواتها ، ويطهرها في بوتقة الألم ، فيصفو عنصرها ويضيء ، ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية ، فتتألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها ، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجا كما وقع ، وكما يقع في كل قضية حق ، يلقي أصحابها ما يلقون في أول الطريق ، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يجارونهم وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين ، على أنه - حتى إذا لم يقع هذا - يقع ما هو أعظم منه في حقيقته ، يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنتها ، وأن تنطلق

من إيسار الحرص على الدعة والراحة ، والحرص على الحياة نفسها في النهاية، وهذا الانطلاق كسب للبشرية كلها وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء، كسب يرجح جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيتها المؤمنون ، والمؤمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته، وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف، وهذا هو الطريق، هذا هو الطريق كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولى ، وللجماعة المسلمة في كل جيل، هذا هو الطريق: إيمان، ومحبة وابتلاء، وصبر وثبات، وتوجه إلى الله وحده، ثم يجيء النصر . ثم يجيء النعيم . (انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١١٦)

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب - عليه رحمة الله ورضوانه:-
(... إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة، ولكنها فريضة واجبة الأداء، واجبة الأداء لأن فيها

خيراً كثيراً للفرد المسلم ، وللجماعة المسلمة ، وللبشرية كلها، وللحق والخير والصلاح، والإسلام يحسب حساب الفطرة، فلا ينكر مشقة هذه الفريضة ، ولا يهون من أمرها، ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكرهيتها وتقلها، فالإسلام لا يماري في الفطرة ولا يصادمها ، ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل، ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر ، ويسلط عليه نوراً جديداً إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كرهه المذاق، ولكن وراءه حكمة تمون مشقته، وتسيغ مرارته ، وتحقق به خيراً محبوباً قد لا يراه النظر الإنساني القصير، عندئذ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تصل منها على الأمر ، ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراه منها، نافذة تمب منها ريح رخية عندما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور، إنه من يدري فلعل وراء المكروه خيراً، ووراء المحبوب شراً، إن العليم بالغايات البعيدة ، المطلع على العواقب المستورة هو الذي يعلم وحده، حيث لا يعلم الناس شيئاً من الحقيقة، وعندما تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تمون المشقة ، وتفتح منافذ الرجاء ، ويستروح القلب في الهاجرة ، ويمنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضاء، هكذا يواجه الإسلام الفطرة ، لا منكراً عليها ما يطوف من المشاعر الطبيعية ، ولا مريداً لها على الأمر الصعب. مجرد

التكليف، ولكن مريباً لها على الطاعة، ومفسحاً لها في الرجاء لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير، ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجبرة، ولتنحس بالعطف الإلهي الذي يعرف مواضع ضعفها، ويعترف بمشقة ما كتب عليها، ويعذرنا ويقدرها، ويحدو لها بالتسامي والتطلع والرجاء، وهكذا يربي الإسلام الفطرة، فلا تمل التكليف، ولا تجزع عند الصدمة الأولى، ولا تخور عند المشقة البادية، ولا تخجل وتتهاوى عند انكشاف ضعفها أمام الشدة، ولكن تثبت وهي تعلم أن الله يعذرنا ويمدها بعونه ويقويها، وتصمم على الماضي في وجه الحنة، فقد يكمن فيها الخير بعد الضر، واليسر بعد العسر، والراحة الكبرى بعد الضنى والعناء، ولا تنهالك على ما تحب وتلتذ، فقد تكون الحسرة كامنة وراء المتعة، وقد يكون المكروه محتبباً خلف المحبوب، وقد يكون الهلاك مترتباً وراء المطمع لبراق، إنه منهج في التربية عجيب، منهج عميق بسيط، منهج يعرف طريقه إلى مسارب النفس الإنسانية وحناياها ودروها الكثيرة، بالحق وبالصدق، لا بالإيحاء الكاذب، والتمويه الخادع، فهو حق أن تكره النفس الإنسانية القاصرة الضعيفة أمراً ويكون فيه الخير كل الخير، وهو حق كذلك أن تحب النفس أمراً وتنهالك عليه، وفيه الشر كل الشر، وهو الحق كل الحق أن الله يعلم والناس لا يعلمون، وماذا يعلم الناس من أمر العواقب؟ وماذا يعلم الناس مما وراء الستر المسدل؟ وماذا يعلم الناس من الحقائق التي لا تخضع للهوى والجهل والقصور؟ إن هذه اللمسة الربانية للقلب البشري لتفتح أمامه عالماً آخر غير العالم المحدود الذي تبصره عيناه، وتبرز أمامه عوامل أخرى تعمل في صميم الكون، وتقلب الأمور، وترتب العواقب على غير ما كان يظنه ويتمناه، وإنما لتتركه حين يستجيب لها طبعاً في يد القدر، يعمل ويرجو ويطمع ويخاف، ولكن يرد الأمر كله لليد الحكيمة والعلم الشامل، وهو راض قرير، إنه الدخول في السلم من بابه الواسع، فما تستشعر النفس حقيقة السلام إلا حين تستيقن أن الخيرة فيما اختاره الله، وأن الخير في ضاعة الله دون محاولة منها أن تجرب ربها وأن تطلب منه البرهان، إن الإذعان الواثق والرجاء الهادي والسعي المطمئن، هي أبواب السلم الذي يدعو الله عباده الذين آمنوا ليدخلوا فيه كافة، وهو يقودهم إليه بهذا المنهج العجيب العميق البسيط في يسر وفي هودة وفي رخاء، يقودهم بهذا المنهج إلى السلم حتى وهو يكلفهم فريضة القتال، فالسلم الحقيقي هو سلم الروح والضمير حتى في ساحة القتال، وإن هذا الإيحاء الذي يحمله ذلك النص القرآني، لا يقف عند حد القتال، فالقتال ليس إلا مثلاً لما تكرهه النفس، ويكون من ورائه الخير، إن هذا الإيحاء ينطلق في حياة المؤمن كلها، ويلقي

ظلاله على أحداث الحياة جميعها ، إن الإنسان لا يدري أين يكون الخير وأين يكون الشر ، لقد كان المؤمنون الذين خرجوا يوم بدر يطلبون غير قريش وتجارها ، ويرجون أن تكون الفئة التي وعدهم الله إياها هي فئة العير والتجارة ، لا فئة الحامية المقاتلة من قريش ، ولكن الله جعل القافلة تفلت ، ولقاهم المقاتلة من قريش ، وكان النصر الذي دوى في الجزيرة لعربية ورفع راية الإسلام ، فأين تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين ؟ وأين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم ؟ والله يعلم والناس لا يعلمون ، ولقد نسي فتى موسى ما كانا قد أعدناه لطعامهما - وهو الحوت - فتنسرب في البحر عند الصخرة . ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي نَاصِبَةٌ لِقَوْمٍ كَفَرُوا فَكَفَرُوا بِكَ وَبِعَزْمِكُمْ وَالْقُرْآنُ يَخْرِجُ مَا يُكَفِّرُونَ وَلَكِنِّي تُبْدِي خَيْرًا مِّنْ أُولَٰئِكَ لَئِيْلَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٢٤) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا السَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٢٦﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَايَتُهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿١٢٧﴾

وكان هذا هو الذي خرج له موسى ، ولو لم يقع حادث الحوت ما ارتدنا ، ولفأقما ما خرجا لأجله في الرحلة كلها ، وكل إنسان - في تجاربه الخاصة - يستطيع حين يتأمل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم ، ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم ، وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حشرات على فوته ، ثم تبين له بعد فترة أنه كان إنقاذاً من الله أن فوت عليه هذا المطلوب في حينه ، وكم من محنة تجرعهها الإنسان لاهناً يكاد يتقطع لفظاعتها ، ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشيء له في حياته من الخير ما لم يشعه الرخاء الطويل ، إن الإنسان لا يعلم ، والله وحده يعلم ، فماذا على الإنسان لو يستسلم ، إن هذا هو المنهج التربوي الذي يأخذ القرآن به النفس البشرية لتؤمن وتسلم وتستلم في أمر الغيب المحبوء ، بعد أن تعمل ما تستطيع في محيط السعي المكشوف . (انتهى كلامه رحمة الله عليه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ تِبْنَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَابَائِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَسَلَهُ مِنَ الْعُكْلِ إِذْ يَنْحَمِلُ إِنْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب - عليه رحمة الله ورضوانه -:

(...وما أكثر ما يتكرر هذا النبا في حياة البشر ، ما أكثر الذين يعطون علم دين الله ، ثم لا يهتدون به ، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه ، واتباع الهوى به هوامهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم - في وهمهم - عرض الحياة الدنيا ، وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها ، ويعلم غيرها ، ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة ، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل ، يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً ، لقد رأينا من هؤلاء من يعلم ويقول: إن التشريع حق من حقوق الله - سبحانه - من ادعاه فقد ادعى الألوهية ، ومن ادعى الألوهية فقد كفر ، ومن أقر له بهذا الحق وتابعه عليه فقد كفر أيضاً ، ومع ذلك ، مع علمه بهذه الحقيقة ، التي يعلمها من الدين بالضرورة ، فإنه يدعو للطواغيت الذين يدعون حق التشريع ، ويدعون الألوهية بادعاء هذا الحق ، ممن حكم عليهم هو بالكفر ، ويسمئهم "المسلمين" ، ويسمئ ما يزاولونه إسلاماً لا إسلام بعده ، ولقد رأينا من هؤلاء من يكتب في تحريم الربا كله عاماً ، ثم يكتب في حله كذلك عاماً آخر ، ورأينا منهم من يبارك الفجور وإشاعة الفاحشة بين الناس ، ويخلع على هذا الوحل رداء الدين وشاراته وعناوينه ، فماذا يكون هذا إلا أن يكون مصداقاً لنبا الذي

﴿ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعْهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وماذا يكون هذا إلا أن يكون المسخ الذي يحكيه الله سبحانه عن صاحب النبا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ ولو شاء الله لرفعه بما آتاه من العلم بآياته ، ولكنه - سبحانه - لم يشأ ، لأن ذلك الذي علم الآيات

﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ، ولم يتبع الآيات ، إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله فلم ينتفع بهذا العلم ، ولم يستقم على طريق الإيمان ، وانسلخ من نعمة الله ، ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان ، ولينتهي إلى المسخ في مرتبة الحيوان ، ثم ما هذا اللهاث الذي لا ينقطع

إنه - في حسنا كما توحيه إيقاعات النبأ وتصوير مشاهدته في القرآن - ذلك اللهاث وراء أعراض هذه الحياة الدنيا التي من أجلها ينسلخ الذين يؤتيهم الله آياته فينسلخون منها ، ذلك اللهاث القلق الذي لا يطمئن أبداً ، والذي لا يتركه صاحبه سواء وعظته أم لم تعظه ، فهو منطلق فيه أبداً والحياة البشرية ما تني تطلع علينا بهذا المثل في كل مكان وفي كل زمان وفي كل بيئة ، حتى إنه لتمر فترات كثيرة ، وما تكاد العين تقع على عالم إلا وهذا مثله فيما عدا الندرة النادرة من عصم الله ، ممن لا ينسلخون من آيات الله ، ولا يخلدون إلى الأرض ، ولا يتبعون الهوى ، ولا يستذلهم الشيطان ، ولا يلهثون وراء الحطام الذي يملكه أصحاب السلطان ، فهو مثل لا ينقطع وروده ووجوده ، وما هو بمحصور في قصة وقعت ، في جيل من الزمان ، وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يتلوه على قومه الذين كانت تتزل عليهم آيات الله ، كي لا ينسلخوا منها وقد أوتوها ، ثم ليبقى من بعده ومن بعدهم يتلى ، ليحذر الذين يعلمون من علم الله شيئاً أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة وأن يصيروا إلى هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً ، وأن يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذي لا يظلمه عدو لعدو فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية النكدة ، ولقد رأينا من هؤلاء - والعياذ بالله - في زماننا هذا من كان كأنما يحرص على ظلم نفسه ، أو كمن يعرض بالنواجذ على مكان له في قعر جهنم يخشى أن ينازعه إياه أحد من المتسابقين معه في الحلبة ، فهو ما يني يقدم كل صباح ما يثبت به مكانه هذا في جهنم ، وما يني يلهث وراء هذا المظمعه لئلا لا ينقطع حتى يفارق هذه الحياة الدنيا ، اللهم اعصمنا ، وثبت أقدامنا ، وأفرغ علينا صبراً ، وتوفنا مسلمين . ثم نقف أمام هذا النبأ والتعبير القرآني عنه وقفه أخرى ، إنه مثل للعلم الذي لا يعصم صاحبه أن تثقل به شهواته ورغباته فيخلد إلى الأرض لا ينطلق من ثقلتها وجاذبيتها ، وأن يتبع هواه فيتبعه الشيطان ويلزمه ويقوده من خطام هذا الهوى ، ومن أجل أن العلم لا يعصم يجعل المنهج القرآني طريقه لتكوين النفوس المسلمة والحياة الإسلامية ، ليس العلم وحده مجرد المعرفة ، ولكن يجعل العلم عقيدة حارة دافعة متحركة لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وفي عالم الحياة أيضاً ...)

(انتهى كلامه رحمة الله عليه ورضوانه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (١١١) ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١٢) ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّىٰ تَلَوتِهِمْ أَوْ لَتَبَتْكُمُ الْيَهُودُ وَمَنْ يُكْفَرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَافِرُونَ ﴾ (١١٣) ﴿

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب- عليه رحمة الله ورضوانه-: (.....) ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ وهي كلمة فيها من التثبيت ما يقضي على شبهات المضللين ، ومحاولات الكائدين، وتلبس الملقين، وفي جرسها صرامة توحى بالجزم واليقين، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وظيفتك البلاغ والأداء ، تبشر الطائعين وتندر العصاة ، فينتهي دورك ﴿ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ الذي يدخلون الجحيم بمعصيتهم ، وتبعتهم على أنفسهم ، وسيظل اليهود والنصارى يحاربونك ، ويكيدون لك ، ولا يسالمونك ولا يرضون عنك ، إلا أن تحيد عن هذا الأمر ، وإلا أن تترك هذا الحق، وإلا أن تتخلى عن هذا اليقين تتخلى عنه إلى ما هم فيه من ضلال وشرك وسوء تصور كالذي سبق بيانه منذ قليل: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ فتلك هي العلة الأصيلة ، ليس الذي ينقصهم هو البرهان ، وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق ، وأن الذي جاءك من ربك الحق ، ولو قدمت إليهم ما قدمت ، ولو توددت إليهم ما توددت ، لن يرضيهم من هذا كله شيء ، إلا أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق ، إنها العقدة الدائمة التي نرى مضداتها في كل زمان ومكان ، إنها هي العقيدة ، هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة ، إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما ، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها ، ولكنها تلتقي دائماً في المعركة ضد الإسلام والمسلمين ، إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها ولكن المعسكرين العريقتين في العداوة للإسلام والمسلمين يولوناهما بألوان شتى ، ويرفعان عليها أعلاما شتى ، في خبث ومكر وتورية ، إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة، ومن ثم استدار الأعداء العريقون فغيروا

أعلام المعركة ، لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة - على حقيقتها - خوفاً من حماسة العقيدة وجيشائها ، إنما أعلنوها باسم الأرض ، والاقتصاد ، والسياسة ، والمراكز العسكرية ، وما إليها ، وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها ، ولا يجوز رفع رايتها ، وخوض المعركة باسمها ، فهذه سمة المتخلفين المتعصبين ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها ، بينما هم في قرارة نفوسهم: الصهيونية العالمية والصليبية العالمية - بإضافة الشيوعية العالمية - جميعاً يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً ، فأدمتهم جميعاً ، إنها معركة العقيدة إنها ليست معركة الأرض ولا العلة ، ولا المراكز العسكرية ، ولا هذه الرايات المزيفة كلها ، إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين ، ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها ، فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا ، ونحن نبعد عن توجيه الله لنبية ﷺ ولأمنه ،

وهو - سبحانه - أصدق القائلين: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ

مِلَّتَهُمْ﴾ فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه ، وما سواه فمرفوض ومردود ، ولكن الأمر الحازم ، والتوجيه الصادق: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ على سبيل القصر والحصر ، ﴿هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ وما عداه ليس بهدى ، فلا براح منه ، ولا فكاك عنه ، ولا محاولة فيه ، ولا ترضية على حسابه ، ولا مساومة في شيء منه قليل أو كثير ، ومن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، وحذار أن تميل بك الرغبة في هدايتهم وإيمانهم ، أو صداقتهم ومودتهم عن هذا الصراط الدقيق ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ

مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

بهذا التهديد المفزع ، وبهذا القطع الحازم ، وبهذا الوعيد الرعب ، ولمن؟ لربي الله ورسوله وحيه الكريم ! إنها الأهواء ، إن أنت ملت عن الهدى ، هدى الله الذي لا هدى سواه ، وهي الأهواء التي تفهم منك هذا الموقف ، وليس نقص الحجة ولا ضعف الدليل ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ والذين يتجردون منهم من الهوى يتلون كتابهم ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ، ومن ثم يؤمنون بالحق الذي معك ، فأما الذين يكفرون به فهم الخاسرون ، لا أنت ولا المؤمنون ، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٣٠﴾ وأي خسارة بعد خسارة الإيمان ، أعظم آلاء الله عنى لناس في هذا الوجود، (انتهى كلامه رحمه الله)

obeyikandil.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
 ﴿ يَتَّهَلَّوْنَ بِالْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّهَلَّوْنَ بِالْكِتَابِ لِمَ
 تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

قال صاحب الظلال: الأستاذ: سيد قطب - عليه رحمة الله ورضوانه -:

(....) وهكذا نرى أن أعداء الجماعة المسلمة لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب، ولم يكونوا يؤلبون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها، كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك، ونثر الشبهات وتدبير المناورات، كانوا يعمدون أولاً إلى عقيدتها الإيمانية التي منها انبثق كيانها، ومنها قام وجودها، فيعملون فيها معاول الهدم والتوهين، ذلك أنهم كانوا يدركون كما يدركون اليوم تماماً، أن هذه الأمة لا تؤتى إلا من هذا المدخل، ولا تهن إلا إذا وهنت عقيدتها، ولا تهزم إلا إذا هزمت روحها، ولا يبلغ أعداؤها منها شيئاً وهي ممسكة بعروة الإيمان، مرتكئة إلى ركته، سائرة على نهجه، حاملة لرايته، ممثلة لحزبه، منتسبة إليه، معترزة بهذا النسب وحده، ومن هنا يبدو أن أعدى أعداء هذه الأمة هو الذي يلهيها عن عقيدتها الإيمانية، ويحيد بها عن منهج الله وطريقه، ويخدعها عن حقيقة أعدائها وحقيقة أهدافهم البعيدة، إن المعركة بين الأمة المسلمة وبين أعدائها هي قبل كل شيء معركة هذه العقيدة، وحتى حين يريد أعداؤها أن يغلبوها على الأرض والمحصولات والاقتصاد والخامات، فإنهم يحاولون أولاً أن يغلبوها على العقيدة، لأنهم يعلمون بالتجارب الطويلة أنهم لا يبلغون مما يريدون شيئاً والأمة المسلمة مستمسكة بعقيدتها، ملتزمة بمنهجها، مدركة لكيد أعدائها، ومن ثم يذلل هؤلاء الأعداء وعملاؤهم جهد الجبارين في خداع هذه الأمة عن حقيقة المعركة، ليفوزوا منها بعد ذلك بكل ما يريدون من استعمار واستغلال، وهم آمنون من عزمة العقيدة في الصدور، وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة، والتشكيك فيها، والتوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقية الجديدة، ولكن نفس الغاية القديمة: ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ فهذه هي الغاية الثابتة الدفينة، لهذا كان القرآن يدفع هذا السلاح المسموم أولاً، كان يأخذ الجماعة المسلمة بالثبوت

على الحق الذي هي عليه ، وينفي الشبهات والشكوك التي يلقيها أهل الكتاب ، ويجلو الحقيقة الكبيرة التي يتضمنها هذا الدين ، ويقنع الجماعة المسلمة بحقيقتها وقيمتها في هذه الأرض ، ودورها ودور العقيدة التي تحملها في تاريخ البشرية ، وكان يأخذها بالتحذير من كيد الكائدين ، ويكشف لها نواياهم المستترة ووسائلهم القذرة ، وأهدافهم الخفية ، وأحقادهم على الإسلام والمسلمين ، لاختصاصهم بهذا الفضل العظيم، وكان يأخذها بتقرير حقيقة القوى وموازينها في هذا الوجود ، فيبين لها هزال أعدائها ، وهوانهم على الله ، وضلالهم وكفرهم بما أنزل الله إليهم من قبل وقتلهم الأنبياء ، كما يبين لها أن الله معها ، وهو مالك الملك المعز المذل وحده بلا شريك.

قال العبد الفقير راجي رحمة الوهاب - قدرى بن محمد بن عبد الوهاب - خلاصة ما أقوله لك أيها القارئ، اقرأ كتاب (في ظلال القرآن) وخذ ما فيه من حسنات، وأسأل الله أن يعفو عن الهفوات والزلات.

أيها القارئ : هذه الآيات رزقي الله ترابط الآيات فيها وتناسقها في فترة انتخابات الرئاسة المصرية، ولها شرح سأذكره في كتابنا (خواطر قرآنية حول انتخابات الرئاسة المصرية):

قال تعالى في سورة الأنفال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَتَنَّهُ لَا نُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَأذْكَرُوا إِذْ أَنتُمْ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَسَخِطَ عَلَيْكُمُ النَّاسُ فَتَوَارِكُكُمْ

وَأَيْدِكُمْ بِبَصْرِهِ. وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا ءَأْمَنَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا ءَأْمَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَقَنُّوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا تَنَالَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْنَا عَيْنَنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أَنْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا لَهُمْ ءَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ ءَأْمَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَيَسِينْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٤٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَالِسُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٨﴾ وَقَلِّبُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلَّهُ بِلَّهِ فَإِنِ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِمْ نَعَمْ الْمَوْلَىٰ وَنَعَمْ النَّصِيرُ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾

وآخر دعوانا: أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ